

الوضعية المشكلة في مادة التربية الإسلامية. لماذا؟ وكيف؟

أحمد عروبي- وزان

تقديم :

يؤكد أغلب الخبراء التربويين (الغربيين خاصة) على كون الوضعية المشكلة ذات دور مركزي في طرق التدريس وفق مدخل الكفايات، لكن على مستوى واقع العمل في المدرسة المغربية ما يزال توظيفها شبه غائب، وفي مادة التربية الإسلامية خصوصا شبه منعدم.

وذلك ما يدفع إلى التساؤل :

-هل يعزى السبب إلى سوء الفهم؟

-أم مرده إلى صعوبة التطبيق؟

-أم يرجع إلى توقف الدراسات والبحوث عن مواكبة

التحليل المنهجي والتنزيل العملي للتدريس بالوضعية

المشكلة؟

إن هذه ورقة أولية تحاول مقارنة المسألة بمقترحات عملية قابلة للتطوير والتعديل، وذلك عبر المحورين الآتية :

الأول : لماذا توظيف الوضعية-المشكلة في مادة التربية الإسلامية ؟

الثاني: كيف يمكن توظيف الوضعية-المشكلة في مادة التربية الإسلامية ؟

المحور الأول:

توظيف الوضعية-المشكلة في مادة التربية الإسلامية..لماذا؟

إن تخصيص القول بمادة التربية الإسلامية راجع إلى عدة أسباب منها :

- تعزيز أكثر لمكانة المادة في المنظومة التعليمية،
- إظهار قابليتها لمواكبة كل المستجدات التربوية على الساحة العالمية،
- الغياب شبه التام لتناول الموضوع بخصوص المادة،
- قصور التصور الواضح عن الكيفية الصحيحة لتوظيف و.م.

ونرى أن مطلب توظيف الوضعية-المشكلة في مادة التربية الإسلامية يرتكز على

ثلاثة أسس :

1/ الأساس التصوري:

إذا علمنا أن المعرفة في الإسلام مرتبطة دائما بما تحقق من أثر عملي يخدم مصلحة الإنسان في عاجله وأجله، تبين أن الكفايات المقصودة في مادة ت.إ يجب أن تلتزم المنهجية المناسبة المحققة للمقاصد الكبرى للمعرفة في الإسلام.

ومن ثم كان أنسب المنهجيات في التدريس هي منهجية التدريس بالوضعية-المشكلة.

إنها تحمل المتعلم على اكتساب المعارف الإسلامية كسبا متيسرا و فعالا, وتجعل المعارف والقيم شأنا ذاتيا, وتهدم الهوة المفتعلة أو النفاقية بين الاعتقاد والعمل, وتبعد الوهم الشائع عن الدين في كونه ذا مطالب مثالية لا يستطيع تطبيقها إلا القليل من الناس وفي ظروف معينة وخاصة.

إن التربية على قيم الإسلام وعقائده الربانية اتجاه الإنسان والكون و الحياة لا تثبت فعاليتها إلا إذا صارت سلوكا أو 'عادة' ذات طابع شخصي, ولا يتم هذا النقل التربوي إلا عبر مرحلة 'التطبع' أو 'التكلف' حيث يحمل فيها الإنسان على الالتزام بالقيمة تصورا و وجدانا و سلوكا, و حديث "يدوق" لذتها, و يمدد غيها, و يلمس إمكان أن تكون جزءا من شخصيته لا تكمل إلا بها.

ولعل هذا ما يشير إليه قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما العلم بالتعلم!"

وعلى هذا يتأسس مطلب التدريس بمنهجية الوضعية-المشكلة بهدف امتلاك الكفايات الممتدة والنوعية المستهدفة من مادة التربية الإسلامية.

2/ الأساس البيداغوجي

* اعتماد مدخل الكفايات

لقد أصبح معلوما ومقررا أن مدخل الكفايات خيار أساس في البناء التعليمي بالمدرسة المغربية.

ولا يخفى أن هذا ناتج عن التأثير بمنتجات الخبرة التربوية الأوروبية التي استمدت هذا المفهوم بدورها من أدبيات المقابلة.

وإذا عدنا إلى أعمال الخبرة الفرنسية خصوصا في هذا المفهوم نجد أنها تجعل الوضعية-المشكلة طريقة أساسية في التدريس, لما بين هذه الطريقة وبين الكفايات من علاقة مركزية.

فلا عجب أن ترى المؤلفات الكثيرة العامة والمتخصصة في مادة معينة, وأن تجد مواقع خاصة بالكفايات وبالوضعية-المشكلة.

ولكن الغريب أن تجد المكتبة المغربية فقيرة في هذا الجانب, بل لا تكاد تجد كتابا خاصا بالوضعية-المشكلة وطرق توظيفها في التدريس بصفة عامة أو خاصة بمادة معينة.

وان وجدنا بحوثا متفرقة من الناحية النظرية خصوصا في الوثائق الرسمية الصادرة عن الأكاديميات الجهوية بالمغرب في إطار برامج التكوين المستمر غير أن أغلبها يقف عند حدود الترجمة في الغالب.

1 - أخرجه البخاري معلقا ووصله ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية حسنه ابن حجر في الفتح 1/108

إن نقص الكتابات والبحوث التربوية في مجال الكفايات وعلاقتها بالوضعية المشكّلة خصوصا على المستوى العملي لمن أهم الأسباب - في نظرنا- في عدم تحقق الآمال التي كانت معقودة على هذا المفهوم منذ سنين.

* اعتماد الإطار المرجعي بدل الكتاب المدرسي.

يؤكد "الوثائق الرسمية" أن الكتاب المدرسي لم يعد أداة ديداكتية أساسية ووحيدة بل أصبح أداة من الأدوات، وللمدرس أن يختار الأدوات والطرق المناسبة لتحقيق الكفايات الأساسية والخاصة، على أن يتطابق مع الإطار المرجعي الرسمي للمادة. ومن هنا كان العمل بالوضعية-المشكّلة أمرا متيسرا بل متعين لكونها طريقة أساسية لاكتساب كفايات مادة التربية الإسلامية.

3/ الأساس الاستراتيجي.

إن مقصود التربية في الإسلام هو أن يكتسب المتعلم ما يفترض أن يبني شخصيته المتكاملة في مستقبل حياته المهنية أو الجامعية .

إن التلميذ عندما يبني معارفه ويكتسب كفايته ذاتيا عبر بيداغوجيا الوضعية-المشكّلة يكون أقرب إلى امتلاك الأهلية الكافية والقابلة للنمو في مواجهة وضعيات متجددة، لأننا قد لا نضد من بقاء المعلومات كاملة، ولكن قد نضد من إلى حد كبير ترسخ الكفاية /الأهلية الاستراتيجية لاتخاذ المواقف كسب المعارف، سواء منها الكفايات الممتدة أو النوعية. إن الوضعية المشكّلة تحشر التلميذ في غمار المهمة التي يحس خلالها بأنها جزء منه، يستدعي لها كل طاقته لمحاولة الانجاز.

إنه يقتنع أن المعرفة ليست أمرا خارجا عن ذاته ينتظر أن يتلقاها جاهزة من خبير أكثر منه علما أو سنا، وإنما منبعها الأصلي من ذاته هو، وأن عليه فقط استكشافها واستثمارها في الظرف الخارجي الضروري الذي هو الوضعية المشكّلة.

إننا نعاني اليوم من أزمة الفعالية وتحمل المسؤولية والالتزام الإرادي في صفوف التلاميذ الذين هم شباب المجتمع وقوته الكامنة، ومرجع ذلك لأسبابها أهمها تقصير المدرسة المغربية (برامج ومناهج وأطر وإدارة...) في تكوين /تأهيل هذا الشاب الفاعل المسؤول ذي الإرادة القوية في الإصلاح والتغيير.

ولعل تغيير طرائق التدريس عبر اعتماد منهجية الوضعية-المشكّلة جزء لا يستهان به في تصحيح مسار المدرسة في أداء دورها الاستراتيجي لتأهيل الشباب..

المحور الثاني : كيف نوظف الوضعية-المشكلة في درس التربية الإسلامية؟

أولاً: الوضعية المشكلة وعلاقتها بالكفايات.

1/ الوضعية المشكلة:

هو مصطلح عبارة عن ترجمة أو تعريب لأصله الفردي *la situation* *problème* ، ويعرفه فيليب ميريو philipe meirieu الذي كان صاحب السبق في تشهير هذا المفهوم² بأنه: " وضعية ديداكتية يتعرض خلالها المتعلم إلى مهمة لا يمكن أداؤها إلا بتعلم محدد، هذا التعلم الذي يبدى حقيقته هدف الوضعية-المشكلة، ويسعى لإزالة العائق أثناء تحقيق المهمة"³

كما تعرف أيضا بكونها:

" وضعية للتعلم يوضع فيها المتعلم أمام لغز(عائق) لا يمكن حله إلا بتعديل تمثلاته أو باكتساب كفاية كان يفتقدها"⁴

فهي طريقة في التعلم تحمل التلميذ تحمل مسؤوليته في بناء التعلم، وهو يسعى لتجاوز العائق بعد أن أحدث له رجة على مستوى تمثلاته ومعارفه، وفرض عليه أن يعبأ مكتسباته من الكفايات أو يكتسب كفايات جديدة، وأن يدمج تعلماته بشكل تلقائي ومنظم بهدف إنجاز المهمة.

وتحدي هذه الطريقة في التعلم على "بيداغوجيا المشكلة"، في مقابل "بيداغوجيا الجواب"⁵ التي تنبني على اعتبار أن الدرس بمحتوياته وأهدافه عبارة عن جواب أو حل لمشكلة وقعت أو يفترض أن تقع، فيتلقى المتعلم الدرس/الجواب بحيث ينتظر أن يحل به مشكلة ما قد تواجهه في الواقع، الشيء الذي لا يمكن تحقيقه إلا بنسب ضعيفة جدا متوقفة على شروط خاصة، ومرد هذه الصعوبة إلى أن المتعلم يحتاج مرة أخرى إلى أن يتعلم كيف يعبأ الجواب المطلوب في الوقت المناسب بمعنى أن يكتسب الكفاية الضرورية.

2/ علاقة الوضعية-المشكلة بالكفايات:

انطلاقاً من التحديد السابق لمفهوم الوضعية-المشكلة يتبين جيداً العلاقة الضرورية والتلازمية بينها وبين الكفاية.

فإذا كانت الكفاية تعني كما عند روجيي (roegiers):

" إمكان تعبئة مجموعة من الموارد بكيفية مستبطنة (تلقائية) بهدف حل فئة من الوضعيات/مسائل"

²

• De Luc Peeters. Méthodes pour enseigner et apprendre en groupe . Publié 2005.p172.

³ . philipe meirieu. Apprendre...oui, mais comment.Paris,ESF ?1989

⁴ .Revue Française de Pédagogie n°106

⁵ .philipe meirieu guide pédagogique de l'élaboration de la situation problème 1988

فلا يخفى إذا أن الاشتغال الأساسي للكفاية إنما هو على **الوضعية-المشكلة**، كما تدل على ذلك بحوث الخبراء التربويين الغربيين ومنهم فيليب ميريو وروجير يس و دو كيتيل وغيرهم.

فالتدريس بالوضعية المشكلة هو الذي يكسب المتعلم استراتيجيات **حسن التصرف** عند مواجهة وضعيات الحياة العملية والمهنية المتنوعة⁶.

ثانيا : مكونات الوضعية-المشكلة:

تتركب الوضعية-المشكلة حسب De Ketel⁷ من ثلاث مكونات هي : دعامة ومهمة أو مهمات/ أنشطة، وتوجيه.

1- الدعامة : مجموعة من العناصر المادية التي تقدم للمتعلم: نصوص مكتوبة أو مصورة- أدوات- صور.. وتحدد بثلاثة عناصر:

-المجال الذي يصف البيئة التي يوجد فيها.

-المعلومات التي سيعتمدها المتعلم، وقد تضم دسب

الأحوال معلومات غير كاملة أو زائدة أو مشوشة.

-الوظيفة التي تحدد في أي هدف يحقق المنتوج.

2- المهمة : وهي العمل المطلوب إنجازه لتجاوز العائق،

3- التوجيه : مجموع التعليمات المرشدة للمتعلم لتسهيل المهمة.

وهنا ننبه إلى أمرين :

أحدهما : يتبين انطلاقا من تعريف الوضعية المشكلة ومكوناتها أنها **وضعية تعليمية** و**بيداغوجية** بالأساس، بمعنى أنها أساس بناء الدرس كله – كما سنوضحه في المقترح بعد - ، غير أن أكثر البحوث الصادرة من الأكاديميات المشيرة إلى مفهوم الوضعية المشكلة تقف عند حدود التعريف وتحديد العناصر، ولكنها عند التمثيل تميل في الأكثر إلى اعتبارها مجرد منطلق للدرس بمعنى أنها تقف فقط عند "عرض المشكلة".

الثاني : أن الوضعية المشكلة لا تكون في التقويم لأنها مفتوحة وتتعلق بمهمة تتطلب كفايات جديدة، بينما التقويم يختبر مدى تحقق الكفاية المكتسبة.

ثالثا : أساسيات التدريس بالوضعية-المشكلة:

1-يستلزم هذا النوع من التدريس اعتماد بيداغوجيا المجموعات حتى

يتحقق شرط التعلم التعاوني، ويتكامل جهد المتعلم مع أقرانه في

بناء الكفاية المقصودة من الدرس.

⁶ - ومن الغريب حقا أن الكتابات الأولى في المجال "الكفايات في التعليم" للأستاذ الديرج و"الكفايات واستراتيجيات اكتسابها" للأستاذ عبد الكريم غريب لم تتعرض إلى طريقة **الوضعية- المشكلة** من قريب أو بعيد، وخصوصا بالنسبة للثاني لكون موضوعه الرئيس متعلق باستراتيجيات اكتساب الكفايات.

⁷ • Xavier. Une pédagogie de l'intégrationCompétences

2- أن يتمتع المدرس بالكفايات الضرورية في فن التواصل وتدبير التعلم المتمركز حول المتعلم.

3- توفر البيئة التعليمية المناسبة (عدد التلاميذ- طاولات- أجهزة العرض الرقمية, , ,) . أن يتمتع المدرس بالكفايات الضرورية في فن التواصل وتدبير التعلم المتمركز حول المتعلم.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الأساسيات هي في الوقت نفسه تحديات أمام التدرييس بالوضعية المشكلة في ظل الأوضاع غير الملائمة في نظامنا التعليمي. وإذ ما المعول على اجتهاد المعنيين في البحث عن الطرق و الكيفيات المناسبة، دافعهم في ذلك الرغبة المخلصة في إرساء دعائم المادة أمام الدعوات – في الداخل والخارج - المناهضة لوجودها أو رسوخها.

رابعا : مقترح تخطيط درس بالوضعية-المشكلة بالمستوى الثانوي التأهيلي :

نتقدم بهذا المقترح مستفيدا من الخبرة الفردسية العملية في تخطيط الدرس وتقديمه بالوضعية -المشكلة، وبعد أن قمنا بتجريبه بمستوى جذع المشترك شعبة الآداب، وكانت له نتائج ملموسة، على الرغم من الصعوبات الكثيرة على مستوى البيئة التعليمي.

أ- على مستوى الإعداد :

****الكفايات :**

- تحديد الكفاية النوعية المقصود اكتسابها من الدرس ضمن الكفايات النوعية للوحدة.
- تحديد الكفايات المكتسبة في المادة أو في مواد أخرى قصد البناء عليها.
- تحديد الكفايات الممتدة المقصود تنميتها من خلال الدرس.

****صياغة المشكلة :**

- ✓ أن تكون ذات معنى لدى المتعلم بأن تكون :
- مستمدة مما يعاينه أو يعايشه المتعلم اجتماعيا أو اقتصاديا أو نفسيا.
- متعلقة بتطلعاته وآماله.
- تناسب مستواه العقلي والنفسي والتعلمي.
- ✓ أن تعرض تحديا / عائقا يدفع المتعلم إلى :
- أن يصحح تمثلاته عن الموضوع.
- أن يكتسب الكفاية او الكفايات الجديدة المطلوبة لحل المشكلة.
- أن يتخلل توازنه أمام دهشة المشكلة.

**الدعامة :

و هي مجموع الملفات والمعطيات التي يعتمد ها المتعلم لأداء المهمة، تنتقى بعناية، ويرتب بطريقة مفيدة لاكتساب الكفاية، متوفرة على عنصر التشويش(معلومات زائدة عن الحاجة او ناقصة او خاطئة...) الذي يختبر التلميذ في التمييز بين ما ينفعه في المهمة وما لا ينفعه، وتتنوع حسب نوع المهمة.
ويمكن أن تتضمن في التربية الإسلامية :

○ الكتاب المدرسي

○ مقطعا من صفحة :

- من المصحف تتضمن آية أو آيات متعلقة بالموضوع.

- من كتاب يتضمن نصا او نصوصا في الموضوع.

- من كتاب الحديث كالبخاري أو مسلم أو الترمذي....

- من جريدة أو مجلة .

○ معطيات إحصائية او بيانية.

○ صور لموقع أو خريطة...

○

ب - على مستوى الإنجاز :

الحصة الأولى:

| المدة بالدقيقة | إجراءات التنشيط | الخطوات |
|----------------|---|--|
| 10 | المدرس يعرض على المتعلمين المشكلة، بشكل محفز، بعد أن يقسم التلاميذ إلى مجموعات بمراعاة التجانس حسب الإمكان. | 1- انطلاق الوضعية |
| | من طرف المدرس محددة بشكل مناسب | 2- المهمة. 3- شروط الإنجاز |
| 10 | من طرف المجموعات بشكل تعاوني | 4- تحديد المشكلة |
| 15 | من طرف المجموعات بشكل تعاوني | 5- اقتراح فرضية أو فرضيات للحل أو خطوات الحل |
| 15 | من طرف المدرس مع المجموعات بشكل تعاوني. | 6- فتح الحوار حول تقويم الفرضيات |

الحصة الثانية:

| | | |
|----|---|--------------------------|
| 10 | من طرف المدرس : - توزيعها منسوخة في صفحة أو صفحتين. - تدريجيا أو دفعة واحدة حسب الحاجة. | 1- تقديم الدعامات |
| 25 | من طرف المجموعات بشكل تعاوني. | 2- إنجاز المهمة المطلوبة |
| 15 | من طرف المجموعات بشكل تعاوني بتوجيه وتسيير من المدرس. | 3- تقويم الإنجاز |

ج - نموذج درس لمستوى الجذع المشترك :

عنوان الدرس : الخصائص العامة للإسلام: العالمية والتوازن والاعتدال.

عنوان الوضعية : رسالة من جاك

المشكلة

: فتحت بريدك الالكتروني فوجدت رسالة بتاريخ 12/1/2008 من صديقك الفرنسي (جاك) يقول فيها: "أنا متردد بين الأديان، لا أدري أي دين يمكن أن يتسم بالعالمية وأستطيع أن أتبعه دون أن أجد صعوبة فيه بين العبادة وبين حاجاتي وطموحاتي.. أرجوك لا تتأخر علي بالجواب"

المهمة

: كتابة رسالة فيها الجواب الكافي لمشكلة جاك.

الشروط

: - احترام مواصفات الرسالة.

- لا تتجاوز صفحة واحدة من الحجم الكبير.

تحديد المشكلة

: رغبة جاك في الدين الذي يحمل قيم العالمية والتوازن.

الفرضية

: يمكن أن يكون ديني الإسلامي هو الحل لمشكلة جاك لما يحمله من قيم العالمية والتوازن.

الدعامة

: - الكتاب المدرسي- نصوص من القرآن ومن السنة - نصوص فكرية.

الإنجاز

: كتابة الرسالة تتضمن مواصفات الرسالة بخطاب معتدل تبين ما يحمله الإسلام من قيم علمية والتوازن مع الأدلة والأمثلة.

التقويم

: يقوم مدى تحقق المهمة بشروطها، عن طريق تقديم الملاحظات من طرف المتعلمين ، بتوجيه الأستاذ.

خاتمة :

أرادت هذه الورقة أن تشير إلى أهمية التدريس **بالوضعية المشكّلة** في مادة التربية الإسلامية، فلعلها أن تكون وفقت في ذلك، على أننا نقترح على المعنيين المزيد من البحث والتطبيق في المجال التربوي عموماً وفي التربية الإسلامية خصوصاً، عن طريق المؤلفات والدوريات والمواقع الإلكترونية، والأهم من هذا إنشاء مركز متخصص بالبحث التربوي **مرتكزا على المعطيات الحضارية العربية والمغربية الإسلامية ومنستفيدا من الخبرات الأجنبية**، بغية إنتاج مشاريع منسجمة مع منظومتنا الحضارية لأن ذلك هو السبيل الوحيد لإصلاح التعليم ببلادنا إن شاء الله تعالى.